مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد التاسع والثلاثون جمادى الآخرة - شعبان ١٤٣٤ هـ . إبريل - يونية ٢٠١٣ م

٣٩

- اهتمام الرسول ﷺ بالجانب العقدي في السيرة النبوية وثمرة ذلك ، نماذج مختارة
- الأحاديث الواردة في موانع شفاعة النبي ﷺ جمعاً ودراسة
- مواقع منازل بني حارثة في ضوء الأحاديث النبوية وأقوال المؤرخين وأثر ذلك في تحديد حرم المدينة
- الحج وأثره على مجتمع المدينة من خلال كتب الرحالة إبان الحكم العثماني للحجاز

اهتمام الرسول ﷺ بالجانب العقدي في السيرة النبوية وثمرة ذلك (نماذج مختارة)

د. محمد بن محمد عواجي

الأستاذ المشارك بقسم التاريخ الإسلامي

بالجامعة الإسلامية – كلية الدعوة وأصول الدين

مقدمة : الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، والصلاة والسلام على من أرسله الله على فترة من الرسل ، والناس في ضلالة عمياء ، وجهالة جهلاء ، وبؤس وشقاء ، ففتح الله به أعينًا عميًا ، وآذنًا صمًّا وقلوبًا غلفًا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي النهى والتقى .

سبب اختيار الموضوع : لا شك أن مما يلفت الانتباه لدى دارس السيرة النبوية والمتخصص فيها ، هو أن المدة التي قضاها رسول الله ﷺ في مكة ، والتي استمرت ثلاث عشرة سنة ، لم تنزل فيها كثير من الأحكام الشرعية ؛ كالصوم ، والحج ، والزكاة ، وتحريم الخمر والربا ... ، وحتى الصلوات الخمس لم تشرع إلا بعد عشر سنوات من البعثة ، في حادثة المعراج ، إلا أن اهتمامه ﷺ بغرس العقيدة أولاً في هذه الفترة الزمنية الطويلة يدل دلالة واضحة على أهمية غرس العقيدة أولاً ، لكن لماذا كان اهتمامه ﷺ طوال فترة العهد المكي (ثلاث عشرة سنة) منصبّاً على غرس العقيدة أكثر من غيرها ؟ وهل هناك ثمرة جناها رسول الله ﷺ من ذلك ؟

البحث سيجيب إن شاء الله عن هذه التساؤلات من خلال ذكر نماذج لثبات بعض الصحابة على العقيدة في مواقف متعددة ، بسبب ما تلقوه من

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تعاليم في الجانب العقدي بين يدي رسول الله ﷺ ، على أنه لايفوتني أن أنوه إلى أن النبي ﷺ لم يهمل جانب الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وصلة الرحم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبر الوالدين ، كما أنه لم يهمل جانب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله ﷻ .

كانت الحنيفية قد تقادم عهدها ، فأكب الناس على عبادة غير الله سبحانه وتعالى ؛ فعبدت الأحجار والأشجار والأصنام ، حتى أصبحت عادة لا مفر منها ، وتوارثها الأبناء عن الآباء ردحًا من الزمن ، مع إقرارهم بالجملة بوجود الله سبحانه وتعالى وربوبيته ، قال الله ﷻ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١] ، ولكن اعترافهم بهذا لم يمنعهم من عبادة غير الله ﷻ ، بل كانوا يظنون أن عبادة الأوثان لا تزيدهم إلا قربًا من الله سبحانه ، قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر : ٣] ، وصدق الله تعالى في وصفهم حيث يقول : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، وزاد من ضلالهم إنكار البعث والنشور ، قال ﷻ : ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٦] . ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٧] .

ولكن لم ينفعهم اعترافهم بهذا النوع من أنواع التوحيد ، فلا بد أن يقروا بتوحيد الألوهية والأسماء والصفات .

لذلك احتاجوا إلى إرسال رسول ينقذهم مما هم فيه من الانحراف العقدي ، ولا بد من إقامة الحجة عليهم بذلك ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فكان أن أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم يعرفون حسبه ونسبه هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ﷺ ، إلا أن غلوهم في الشرك بالله سبحانه وتعالى أدى بهم إلى إنكار النبوة المحمدية ، قال الله سبحانه وتعالى عنهم : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس : ٢] .

وقول الله ﷻ حكاية عنهم : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] .

لذلك كان لا بد من إزالة هذا الموروث الجاهلي بغرس العقيدة أولاً في النفوس حتى إذا ما وقر الإيمان في القلوب تقبلت ما يترب على ذلك من أحكام شرعية لاحقة .

وسنرى في ثنايا هذا البحث كيف تعرض المهاجرون والأنصار ﷺ لشتى أنواع العذاب والابتلاءات ، ومع ذلك ثبتوا على عقيدتهم التي غرسها فيهم رسول الله ﷺ ، وذلك بذكر أمثلة على ذلك من خلال أحداث السيرة النبوية .

والحق أن الأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، لكن القصد من هذا البحث هو ذكر نماذج من السيرة النبوية ، لمواقف تعرض لها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم امتحنوا في عقيدتهم فيها ، لكنهم ثبتوا ثبوت الجبال الرواسي أمام تلك المواقف ،مما يدل على أن غرس العقيدة في نفوس الأتباع في غاية الأهمية ،والمتخصص في السيرة النبوية على وجه الدقة يثير انتباهه هذا المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ ، والذي يجب أن يسير عليه كل داعية .

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة ، وفصلين ، ثم الخاتمة ، فالفهارس .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المقدمة : وقد ذكرت فيها الحالة الدينية عند العرب ، وما كانوا عليه من انحراف في العبادة بصرفها لغير خالقهم جل وعلا .

وأما الفصل الأول : فقد جعلته في : أثر غرس العقيدة في نفوس الصحابة في المرحلة المكية وثمرة ذلك . وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول : ثبات القدوة الحسنة « محمد ﷺ » .

المبحث الثاني : ثبات المستضعفين على.العقيدة .

المبحث الثالث : ثبات مهاجري الحبشة على عقيدتهم أمام النجاشي .

المبحث الرابع : تصديق أبي بكر ﷺ الرسول ﷺ ليلة الإسراء .

الفصل الثاني : أثر غرس العقيدة في نفوس الصحابة في المرحلة المدنية ، وثمرة ذلك ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : موقف أهل قباء من تحويل القبلة .

المبحث الثاني : موقف أنس بن النضر ﷺ يوم أحد .

المبحث الثالث : موقف المهاجرين والأنصار في غزوة بدر .

المبحث الرابع : موقف كعب بن مالك ﷺ بعد تخلفه عن غزوة تبوك .

المبحث الخامس : موقف المهاجرين والأنصار من الردة وثباتهم على الإسلام .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج ، ثم الفهارس .

الفصل الأول

أثر غرس العقيدة في نفوس الصحابة في المرحلة المكية وثمرة ذلك

المبحث الأول : ثبات القدوة الحسنة « محمد ﷺ » .

لما أرسل اللّٰهَ ﷻ نبيه ﷺ بأوائل سورة المدثر ، وهي قوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر : ١-٥] ،

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حينئذ شمَّر ﷺ عن ساق الجد ، وقام في ذات الله ﷻ أتم قيام ، ودعا إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً[١] .

واستمر على ذلك دون كلل أو ملل ، حتى اشتد أذى قريش عليه ﷺ ، وحاولوا إسكاته بكل ما أوتوا .

وقد كانت المواجهة الأولى لتكذيبه من أول يوم دعا فيه قريشاً لتبليغهم بهذا الدين العظيم ، كما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، « ورهطك منهم المخلصين »[٢] ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا ، فهتف يا صباحاه ، فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً ، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم ، فقال أبو لهب : تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام ، فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] .

ثم أخذت قريش تمارس شتى أساليب ووسائل الترغيب والترهيب ، ورسول الله ﷺ ماضٍ في دعوته لا يعبأ بما يسمع من شتى أنواع السخرية والاستهزاء ، بل والنيل منه – بأبي هو وأمي ﷺ – ، فقد اتهم ﷺ بالجنون تارة ، وبالسحر أخرى ، وبالكذب ثالثة ، وأن ما جاء به من القرآن إنما هي أساطير الأولين اكتتبها ، وأن هذا القرآن ليس من عند الله ، وغيرها من ألوان التهم والسخريات ، كل ذلك وربه ﷻ يدافع عنه ﷺ ، كما قال جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] ،

---

(١) زاد المعاد ،لابن القيم ١٢/٣ .

وانظر : جمهرة النسب لابن الكلبي (ص٦١٥) ، نسب معد لابن الكلبي أيضاً (٣٦٢/١) ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٣٢٩ ، ٣٣٢) ، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار لابن قدامة (ص ٢٩)

(٢) قال النووي : الظاهر أن هذا كان قرآناً أنزل ثم نسخت تلاوته . شرح النووي على مسلم ٨٢/٣-٨٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فإذا كان الباري ﷻ يدافع عن المؤمنين ، فكيف بأنبيائه ، فقال ﷻ مدافعاً عن نبيه ﷺ : ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم : ٢] ، وقوله ﷻ : ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان : ٨] ، وقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] .

ومن أعظم الأمثلة على ثبات الرسول الله ﷺ على مبدأه ما ذكره ابن إسحاق : أن قريشاً أتت إلى أبي طالب ليكف عنهم محمداً ﷺ ، فكلم أبو طالب النبي ﷺ في ذلك ،وقال له : إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم ، فانته عن أذاهم ، فحلَّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء ، فقال : « أترون هذه الشمس ؟ » قالوا : نعم ، قال : « فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة » ، فقال أبو طالب : والله ما كَذَبَنا ابن أخي ، فارجعوا[(١)] .

ولا شك أن صموده وثباته ﷺ نابع من يقينه بربه ﷻ ، وأنه ناصره ، كما قال ﷻ : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر : ٥١] .

وهذا الموقف القوي للرسول ﷺ من قومه ينسجم مع ما أمر به من البلاغ[(٢)] .

وكيف لا يكون موقفه كذلك وهو رسول الله ﷺ ، فهو المبلغ عن الله ﷻ ، وهو المؤيد من عند ربه سبحانه ، وهو المعصوم من الله تبارك وتعالى .

ولا بد أن تكون هذه المواقف من النبي ﷺ مجتمعة والتي دلت وأثبتت بما لا يدع مجالاً للشك على ثبات النبي ﷺ ، وهو القدوة في ذلك ،

(١) كتاب السير والمغازي ، لابن إسحاق ،١٥٥ وقد حسنها الألباني في السلسلة رقم (٩٢) .
(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، لمهدي رزق الله ،١٦٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قد وصلت إلى الصحابة ﷺ ، ولا بد أيضاً أن يقتدوا به في الثبات على الحق مهما كلفهم ذلك ،وقد أكد النبي ﷺ للصحابة أن الثبات على الحق يحتاج إلى تضحيات ، وأن ذلك من السنن الإلهية ، يؤكد ذلك ما رواه البخاري عن خباب ﷺ عنه عندما تعرض هو وبعض المستضعفين إلى صنوف من أنواع الأذى ،فقد أتوا إلى النبي ﷺ ، يشكون حالهم ويسأل الله لهم النصر على عدوهم ،يقول خباب ﷺ : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعوا لنا ؟ قال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض ، فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »[1] .

وهنا يؤكد النبي ﷺ لهؤلاء المستضعفين ، وللصحابة أجمعين ، بل وللمسلمين جميعاً ، أن هذا الدين سيتمه الله ﷻ ، ولكن يحتاج إلى صبر وتضحيات .

وهنا يستوعب الصحابة الكرام الدرس جيداً ، ويؤكدون على ذلك بمواقفهم المشرفة على الثبات بالتمسك بهذا الدين ، وذلك من خلال الأمثلة التي سأوردها عنهم في المباحث التالية .

المبحث الثاني : السبب في ثبات المستضعفين على العقيدة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : السبب في استغراق الفترة المكية كلها لغرس العقيدة .

ومن المعلوم أن الفترة المكية التي استمرت ثلاثة عشر عاماً كلها كانت مركزة على غرس العقيدة في نفوس الناس ،مع الأخذ بعين

(١) البخاري ،كتاب المناقب ،باب : علامات النبوة في الإسلام ، رقم الحديث : (٣٦١٢) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الاعتبار أن الدعوة شملت أيضاً الحث على مكارم الأخلاق وصلة الرحم وبر الوالدين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وغيرها من الأمور الفاضلة ،كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها في الهجرة إلى الحبشة وسيأتي .

ولا شك أن المدة التي استغرقت غرس العقيدة طويلة جداً ، وهو أمر يسترعي انتباه كل قارئ حقاً ، ولكن إذا نظرنا إلى الحالة الدينية التي كان عليها المجتمع العربي عامة والمكي خاصة أدركنا أن إزالة هذا الموروث الجاهلي يحتاج إلى مدة طويلة ،وأن هذه المرحلة تحتاج إلى تأسيس لهذا الدين ، وأن أساسه هو غرس العقيدة أولاً ، فإذا وقر الإيمان في القلب وصلحت تلك المضغة صلح الجسد كله .

المطلب الثاني : ثبات بعض من كان قد أسلم من المستضعفين :

من المعلوم أن أسرة آل ياسر المباركة ، وبلالاً ، والمقداد كانوا من أوائل الداخلين في الإسلام ، بل ومن أوائل من جهر بالإسلام ؛ فعن ابن مسعود ﷺ قال : أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سُميَّة ، وبلال ، والمقداد ، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأعطوه الولدان وأخذوا يطوفون به شعاب مكة ، وهو يقول : أحد أحد[1] .

---

(١) مسند أحمد ٣٨٢/٦ ، رقم (٣٨٣٢) وسنده حسن كما قال المحقق ، وابن ماجه ، رقم (١٥٠) وقد حكم عليه الألباني بأنه حسن ، انظر : صحيح ابن ماجه ٣٠/١ ، رقم (١٢٢) . وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٨٤/٣ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولقد مر رسول الله ﷺ مرة بآل ياسر وهم يعذبون ، فقال لهم : « أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة »[١] . بل لقد كانت أم عمار أول شهيدة في الإسلام ؛ طعنها أبو جهل بحربة في قُبُلِها فماتت[٢] .

وهنا يظهر ويتجلى صدق العبودية لله ﷻ ، والثبات على الحق ، وذلك بسبب ما يحملونه من إيمان صادق وصل إلى مشاشة عظامهم .

كما قال النبي ﷺ في حق عمار : « ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه »[٣] .

فهذا الثبات على الحق ، وهذا الصبر على البلاء لم يأت من فراغ ، بل جاء من تلك التربية الإيمانية الصادقة التي ربطتهم بخالقهم الواحد الأحد جل جلاله منذ اللحظة الأولى لانطلاق الدعوة .

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن جميع شؤون حياتهم من خير وشر كلها موكولة إلى الباري جل وعلا ، ومما يدل على ذلك ويلفت الانتباه التعبير الذي استخدمه ابن مسعود ﷺ في حديثه المتقدم عندما كان يتحدث عن تعذيب المشركين للسبعة الذين أظهروا الإسلام حيث قال : فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه . فأسند أمر المنع لله ﷻ ، ثم لأبي طالب وقوم أبي بكر .

وهذا يذكرنا بقول اليهودي الذي أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون تقولون : ماشاء الله وشئت ،فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت[٤] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٨٨/٣ ،من حديث جابر ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) دلائل النبوة ، للبيهقي ٢٨٢/٢ ، من مرسل مجاهد .

(٣) سنن ابن ماجه ،كتاب السنة ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ،رقم الحديث (١٤٧) ، وقد حكم عليه الألباني بالصحة ، انظر : صحيح ابن ماجه ، رقم (١٢٠) ، والسلسلة الصحيحة ، رقم (٨٠٧) . والمشاش : هي رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها .النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ٣٣٣/٤ .

(٤) انظر : صحيح النسائي ، للألباني ، رقم (٣٥٣٣) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هذا التعبير من ابن مسعود لم يكن عفويًا بل يدل دلالة واضحة على أنهم استفادوا من تربية النبي ﷺ لهم على العقيدة الصحيحة منذ اللحظات الأولى ، وطبقوها في حياتهم .

المبحث الثالث : ثبات مهاجري الحبشة على عقيدتهم أمام النجاشي .

اشتد العذاب على المسلمين في مكة ، وأُوذوا ، وفتنوا ، ورسول الله ﷺ لا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلاً عن غيره ، إلا أنه كان في منعة من قومه وعمه . حينها قال لهم رسول الله ﷺ : « إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه ... »[(١)] .

ومن خلال استعراضي لأحداث السيرة النبوية في العهد المكي وما تعرض له المسلمون من امتحان واضطهاد وابتلاءات ، لم أجد اختباراً وابتلاءً أهم مما حصل للمسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ، بعد هجرتهم إليها وذلك من خلال الحوار الذي دار بينهم وبين النجاشي فيما يتعلق بعيسى عليه السلام ، وهي مسألة تتعلق بصميم العقيدة .

تلك القضية التي طرحها عمرو بن العاص رضي الله عنه على النجاشي واتهام المسلمين – على حد زعمه – أنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، قال : يقولون إنه عبد .

هذه المقولة كانت من أهم التهم التي وجهت إلى المسلمين ، لأن الحبشة كانوا يدينون بالنصرانية ، وعقيدة النصارى المحرفة يزعم أتباعها أن عيسى ابن الله كما قال جل شأنه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

فبعث النجاشي إلى المسلمين ليسمع منهم عقيدتهم في عيسى عليه السلام .

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق (تهذيب ابن هشام ٢٠٨/١-٢٠٩) ، وسنده حسن ، لتصريح ابن إسحاق فيه بالتحديث .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قالت أم سلمة رضي الله عنها : ولم ينزل بنا مثلها قط[١] . أي من الكرب والهم ؛ لأن القضية تتعلق بمصير حتمي لا مفر منه ، فإما أن يداهنوا ويقولوا قول نصارى الحبشة من أن عيسى ابن الله فيكفروا ، وإما أن يقولوا ما نزل به القرآن من أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فيبقوا على دينهم الإسلام ، ولكن لا بد من تحمل تبعات كل ما ينتج عن هذه المقولة ، فقد تؤدي بهم إلى إخراجهم من الحبشة التي أَمِنوا بها ، أو تعذيبهم ، كل ذلك وارد .

لكن رسوخ عقيدتهم في قلوبهم أدى بهم - بعد توفيق الله سبحانه - إلى قول الحق في عيسى عليه السلام الوارد ذكره في كتاب الله العزيز ، وهما قضيتان لا بد من القول بإحداهما .

فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض ، ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله وما جاء به نبينا كائن في ذلك ما هو كائن[٢] .

وهذه المقولة منهم لا تصدر - والله - إلا ممن وصل الإيمان إلى شغاف قلبه ، فرشح القوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ليكون المتحدث عن المسلمين جميعاً ، وكان النجاشي قد أرسل إلى بطارقته وأعطى كل واحد منهم نسخة من الإنجيل حتى يسمعوا جميعاً عقيدة المسلمين في عيسى ، وهل هي موافقة لما عندهم أم لا ؟

وهذا العمل من النجاشي غاية في العدل والإنصاف ، وهو مصداق قول الرسول ﷺ : « إن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد » فلما دخل جعفر رضي الله عنه على النجاشي سأله : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟

فقال جعفر رضي الله عنه : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ يقول : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فضرب النجاشي

(١) السيرة النبوية ،لابن إسحاق (تهذيب ابن هشام ١/٢٠٨-٢٠٩) .

(٢) المصدر السابق .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بيده الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم سيوم في أرضي - والسيوم الآمنون - من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم[1] .

فانظر إلى هذا الثبات على العقيدة التي غرسها فيهم رسول الله ﷺ ، هذه هي ثمرة هذا الغرس ، ولا أدل على ذلك من هذا الموقف العظيم من المسلمين ، بالرغم من قلة عددهم أمام ملك يحكم بلداً عظيماً بعدده وعدته .

والملفت للنظر هنا كيف هدى الله ﷻ النجاشي إلى أن جمع بطارقته ، وأعطى لكل واحد منهم إنجيلاً حتى ينظروا إلى مدى مطابقة ماجاء به جعفر ﷺ وما عندهم فأقيمت عليهم الحجة وهم لايشعرون ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى مَنْ حيَّ عن بينة ، وإقامة الحجة على البطارقة هنا قد تكون مقصودة من النجاشي - رحمه الله - فقد يكون اعتنق الإسلام ولكن لم يظهره ، وأراد إقامة الحجة عليهم بصورة من الصور ، فكانت هذه ، وقد يكون فعل هذا من باب عدله وإنصافه كما أخبر بذلك ﷺ ، وكل ذلك من تدبير الله ﷻ وإلهامه للنجاشي بفعل ذلك .

إلا أن الدرس الذي يجب أن يستوعب هنا هو الاهتمام بالجانب العقدي - الذي غفل عنه كثير من الدعاة في عصرنا الحاضر - والذي هو منهج النبي ﷺ ، وأن الاهتمام بالجوانب الأخرى تأتي بعد غرس العقيدة أولاً .

المبحث الرابع : تصديق أبي بكر الصديق ﷺ الرسول ﷺ ليلة الإسراء .

كان أبو بكر الصديق ﷺ من السابقين إلى الإسلام ،بل هو أول من أسلم من الرجال[2] ، ولم تكن له كبوة أو تردد ﷺ ولذلك حفظ رسول الله ﷺ له ذلك ، حتى قال : « إن الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال

(١) السيرة النبوية ،لابن إسحاق (تهذيب ابن هشام ٢٠٨/١-٢٠٩) .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب : أول من صلى علي وأول من أسلم علي ٦٤٢/٥ ، رقم (٣٧٣٥) وقال : هذا حديث صحيح .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أبو بكر : صدقت ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي ؟ » (مرتين) ، فما أوذي بعدها[١] .

قال ابن كثير : وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه[٢] .

ولما أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس ، طفق يخبرهم ﷺ بذلك ، فأنكروا عليه ذلك ، وذلك لبعد المسافة بين مكة وبيت المقدس ، فكيف يأتيه في ليلة ثم يعود إلى مكة من ليلته فيصبح بين ظهرانيهم ؟ فالتصديق بمثل هذه الأخبار يحتاج إلى إيمان راسخ وعقيدة ثابتة ،لذلك أنكرت قريش خبر النبي ﷺ بل وارتد بعض من كان قد أسلم[٣] .

وظنت قريش أن هذا الخبر لغرابته سيثني الصديق رضي الله عنه عن تصديق النبي ﷺ ، فدعته قريش ليسمع بنفسه من النبي ﷺ ، فلما جاء رضي الله عنه وسمع الخبر من النبي ﷺ بادر كعادته رضي الله عنه إلى تصديق النبي ﷺ ، وقال لهم : أصدقه بخبر يأتيه من السماء ، أفلا أصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس ؟!![٤] .

والفرق واضح بين الخبر الذي يأتي به جبريل عليه السلام من السماء ، وبين ذهاب النبي ﷺ إلى بيت المقدس .

وقد ذُكر أن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء كذلك[٥] . لذلك كان إيمان أبي بكر رضي الله عنه بالوحي وهو يأتيه ﷺ من فوق سبع سماوات هو المستغرب عند من لا يؤمن إلا بالمحسوس ، أما أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالأمر عنده سواء ، فكل ما يقوله ﷺ فهو حق .

---

(١) البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ : « لوكنت متخذاً خليلا » ، رقم (٣٦٦١) .

(٢) السيرة النبوية ،لابن إسحاق ، (تهذيب ابن هشام ١/٤٣٤) .

(٣) انظر : المستدرك ، للحاكم ١/٦٢-٦٣ ، وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ، وصححه الذهبي .

(٤) المصدر السابق .

(٥) مسند أحمد ١٤/٤٢٢ ، رقم (٨٨٢٨) . وسنده ضعيف كما قال المحقق .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الفصل الثاني

أثر غرس العقيدة في نفوس الصحابة في المرحلة المدنية وثمرة ذلك

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الفرق بين المرحلة المكية والمدنية وتحول أهل قباء في صلاتهم إلى الكعبة .وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاختلاف بين المرحلة المكية والمدنية :

اختلفت المرحلة المدنية عن المكية بكثرة التشريعات التي شرعها رسول الله ﷺ ، عكس المرحلة المكية التي اتسمت بالتركيز على الجانب العقدي ، باعتبار تلك المرحلة مرحلة تأسيس ، وكما مر قريباً أن السبب في ذلك يعود – والله علم – إلى البيئة المحيطة بالنبي ﷺ من المشركين الذين حاولوا بوسائل عدة محاربة الدعوة فضلاً عن دخولهم في الإسلام ، لكن الوضع في المرحلة المدنية مختلف ، فالمهاجرون رضوان الله عليهم قد تغلغل الإيمان فيهم حتى وصل إلى شغاف قلوبهم ؛ لطول ملازمتهم لرسول الله ﷺ .

ولم يكن النبي ﷺ يحتاج للوقت الذي قضاه في مكة من أجل غرس العقيدة في نفوس الأنصار ،لعدة أمور ، منها – والله أعلم – :

١ – توعد يهودٍ الأنصار بأن نبياً قد أظل زمانه سيتبعونه فيقتلونهم معه قتل عاد وإرم[(١)] .

فهذا التهديد من اليهود للأنصار كان حاضراً في أذهان الأنصار ، لأنهم يعلمون أن اليهود أهل كتاب ، وأن تهديدهم هذا لم يأت من فراغ ، بل لا بد أنهم قالوه عن علم ، وبالتالي يجب أن يحمل محمل الجد ، لذلك سارعوا في الدخول إلى الإسلام من أول لقاء جمعهم بالنبي ﷺ في مكة ، قبل بيعة العقبة الأولى والثانية .

---

(١) السيرة النبوية ، لابن إسحاق (تهذيب ابن هشام ٢٧١/١) ، وسنده حسن .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢- أن أول بنود بيعة العقبة الأولى للأنصار هو : عدم الإشراك بالله ﷻ ، فهذا البند لوحده كاف لترك عبادة الأصنام ونبذها والتبرؤ منها ، وأن مبايعتهم للنبي ﷺ ليلة العقبة تمت عن قناعة تامة بالإسلام ، وأن ما جاء به الرسول ﷺ حق .

٣- بالإضافة إلى وجود المهاجرين في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ إليهم ، ولا شك أن الجانب العقدي سيقوى ويترسخ عند الأنصار من خلال معايشتهم لأحوال المهاجرين .

وبالتالي فلم يكن الرسول ﷺ بحاجة إلى إمضاء وقت طويل معهم لغرس العقيدة في نفوسهم ، كما أن مخالطتهم للمهاجرين في المدينة زادهم هدى وثباتاً ،وهذا دليل على أن ملازمة طلاب العلم للعلماء والصالحين فيها عصمة لهم من الوقوع في البدع والمخالفات ، خاصة عند حدوث الفتن ،لأن أهل العلم هم أعرف الناس بمدلولات ألفاظ الشريعة المطهرة ، وقد تجلى ذلك مواقف الصحابة ﷺ وفي عدة مواطن ، منها :

المطلب الثاني : تحول أهل قباء في صلاتهم إلى الكعبة .

هذه الحدث العجيب لو لم يرد في كتب السنة الثابتة والسيرة الصحيحة لما صدق به كثير من الناس ، خاصة في هذا الزمن ، وذلك لغرابته ، ولتعلق كثير من الناس اليوم بالأمور الحسية ، وهذا كله نتيجة لضعف الإيمان ، والبعد عن تعلم العقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح .

وكان هذا اختبارًا حقيقيًّا لإيمان أهل المدينة من الأنصار ومدى امتثالهم لأوامر الله سبحانه وتعالى وأوامر رسوله ﷺ ، كما حصل اختبار هام للمهاجرين في مكة نجحوا فيه بامتياز ، وذلك في موقف المسلمين من عيسى بن مريم عليه السلام عند النجاشي كما مر .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لما قدم النبي ﷺ المدينة كان يصلي تجاه بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً[١] ، وكان ﷺ يحب التوجه في صلاته إلى الكعبة كما قال الله ﷻ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

فأُمر بالتوجه إلى الكعبة ،وكان هذا التحول في شهر رجب من السنة الثانية من الهجرة[٢] في صلاة العصر[٣] .

فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : بينا الناس بقباء[٤] في صلاة الصبح ، إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله ﷺ

---

(١) السيرة النبوية ، لابن إسحاق (تهذيب ابن هشام ٣٦٠/١) ، والبخاري ،كتاب التفسير ، باب قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس ما ولاَّهم عن قبلتهم ، رقم الحديث (٤٤٨٦) ، ومسلم ، كتاب المساجد ، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ، رقم (٥٢٥) .

(٢) انظر : فتح الباري ، لابن حجر ، تحت شرحه للحديث ، رقم (٤٠) ، وسبل الهدى والرشاد ، للصالحي ٣٧٣/٣ . وقيل في شعبان ، ابن إسحاق أيضاً ، السيرة النبوية ٤٠١/١ ، وقيل في جمادى الآخرة ، انظر : سبل الهدى والرشاد ، للصالحي ٣٧٣/٣ .

(٣) انظر : البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس ما ولاَّهم عن قبلتهم ، رقم (٤٤٨٦) . قال الحافظ ابن حجر : والتحقيق : أن أول صلاة صلاها في بني سلِمة – بكسر اللام – الظهر ، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر ، وأما الصبح فلأهل قباء . انظر : فتح الباري ،بعد شرحه للحديث رقم (٤٠) ، من كتاب الإيمان ، وسبل الهدى والرشاد ، للصالحي ٣٧٣/٣ .

(٤) هو أول مسجد أسس على التقوى ، قال جل شأنه : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] ، وقد كان النبي ﷺ يأتيه ماشيا وراكبا ، البخاري ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب من أتى مسجد قباء كل سبت ، رقم (١١٩٣) ، ومسلم ، كتاب الحج ، باب فضل مسجد قباء ، وفضل الصلاة فيه وزيارته ، رقم (١٣٩٩) . وقال فيه ﷺ : « من خرج حتى يأتي هذا المسجد – يعني مسجد قباء – فيصلي فيه كان كعدل عمرة » . مسند أحمد ٣٥٨/٢٥ ، رقم (١٥٩٨١) ، قال محققه : صحيح بشواهده . =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة[1] .

= وقد ورد في صحيح مسلم من حديث عبد الرّحمن بن أبي سعيدٍ الخدريّ ، عن أبيه قال : قال أبي : دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ؛ أيّ المسجدين الّذي أسّس على التّقوى ؟ قال : فأخذ كفًا من حصباء ، فضرب به الأرض ، ثمّ قال : « هو مسجدكم هذا » لمسجد المدينة . ينظر : صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ بالمدينة ، رقم (١٣٩٨) .

وقال الحافظ ابن حجر : وهو في التّحقيق أوّل مسجدٍ – أي مسجد قباء – صلّى النّبيّ ﷺ فيه بأصحابه جماعةً ظاهرًا وأوّل مسجدٍ بني لجماعة المسلمين عامّةً وإن كان قد تقدّم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الّذي بناها كما تقدّم في حديث عائشة في بناء أبي بكرٍ مسجده ، وروى ابن أبي شيبة عن جابرٍ قال : لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ بسنين نعمر المساجد ونقيم الصّلاة وقد اختلف في المراد بقوله تعالى لمسجدٌ أسّس على التّقوى من أوّل يوم فالجمهور على أنّ المراد به مسجد قباء هذا وهو ظاهر الآية . وروى مسلمٌ من طريق عبد الرّحمن بن أبي سعيدٍ عن أبيه سألت رسول الله ﷺ عن المسجد الّذي أسّس على التّقوى فقال هو مسجدكم هذا . ولأحمد والتّرمذيّ من وجهٍ آخر عن أبي سعيدٍ اختلف رجلان في المسجد الّذي أسّس على التّقوى فقال أحدهما : هو مسجد النّبيّ ﷺ وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك ، فقال : « هو هذا » وفي ذلك يعني مسجد قباءٍ خيرٌ كثيرٌ . ولأحمد عن سهل بن سعدٍ نحوه وأخرجه من وجهٍ آخر عن سهل بن سعدٍ عن أبيّ بن كعبٍ مرفوعًا . قال القرطبيّ هذا السّؤال صدر ممّن ظهرت له المساواة بين المسجدين في اشتراكهما في أنّ كلا منهما بناه النّبيّ ﷺ ،فلذلك سئل النّبيّ ﷺ عنه فأجاب بأنّ المراد مسجده ، وكأنّ المزيّة الّتي اقتضت تعيينه دون مسجد قباء لكون مسجد قباء لم يكن بناؤه بأمر جزمٍ من الله لنبيّه ، أو كان رأيًا رآه بخلاف مسجده ، أو كان حصل له أو لأصحابه فيه من الأحوال القلبيّة ما لم يحصل لغيره انتهى . ويحتمل أن تكون المزيّة لما اتّفق من طول إقامته ﷺ بمسجد المدينة بخلاف مسجد قباء ، فما أقام به إلا أيّامًا قلائل ، وكفى بهذا مزيّةً من غير حاجةٍ إلى ما تكلّفه القرطبيّ . والحقّ أنّ كلا منهما أسّس على التّقوى ، وقوله تعالى في بقيّة الآية فيه رجالٌ يحبّون أن يتطهّروا يؤيّد كون المراد مسجد قباء وعند أبي داود بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ ،قال نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهّروا في أهل قباء وعلى هذا فالسّرّ في جوابه ﷺ بأنّ المسجد الّذي أسّس على التّقوى مسجده رفع توهّم أنّ ذلك خاصٌّ بمسجد قباء والله أعلم .

قال الدّاوديّ وغيره ليس هذا اختلافًا ؛لأنّ كلا منهما أسّس على التّقوى ، وكذا قال السّهيليّ ، وزاد غيره أنّ قوله تعالى ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ يقتضي أنّه مسجد قباء لأنّ تأسيسه كان في أوّل يومٍ حلّ النّبيّ ﷺ بدار الهجرة والله أعلم . فتح الباري ، تحت شرحه للحديث رقم (٣٩٠٦) .

(١) البخاري ، رقم (٤٠٣) ومسلم ، رقم (٥٢٦) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فانظر إلى قوة إيمان هؤلاء !! وكيف استداروا إلى الكعبة ، وهم في صلاتهم ، بالرغم من أنهم كانوا يؤدون ركناً عظيماً من أركان الإسلام ، وبالرغم من أن الذي أخبرهم رجل واحد[1] ،ومع ذلك فلم يشكوا لحظة واحدة في صدقه .

هذه الحادثة أظهرت وبجلاء ثبات الصحابة ﷺ وحرصهم على دينهم ، وأن هذا الإيمان الصحيح الذي خالط بشاشة قلوبهم هو الذي يجب أن نربي أنفسنا وأبناءنا عليه .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] يقول تعالى إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولاً إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنه إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ، ويستقبل معك حيث توجهت ،ممن ينقلب على عقبيه ، أي مرتداً عن دينه ، وإن كانت لكبيرة أي هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة ، أي وإن كان هذا الأمر عظيماً في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول ﷺ ، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه ، وأن الله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فله أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك ، بخلاف الذين في قلوبهم مرض ؛ فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكاً كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق ، كما قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤-١٢٥] ، وقوله ﷻ :

(١) الصواعق المرسلة ، (الصواعق المنزلة) لابن القيم ٢/٣٩٤-٤٠٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ ﴾ [فصلت : ٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] ، ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول ﷺ واتباعه في ذلك وتوجه حيث أمر الله من غير شك ولا ريب من سادات الصحابة أهـ[١] .

المبحث الثاني : موقف المهاجرين والأنصار ﷺ عندما استشارهم الرسول ﷺ في غزوة بدر .

من أجمل القصص الصحيح في السيرة النبوية ، ما حصل من محاورات بين الرسول ﷺ والمسلمين من المهاجرين والأنصار فيما يتعلق بشأن قافلة أبي سفيان ، التي خرج من أجلها رسول الله ﷺ والمسلمون ؛ فقد ندب الرسول ﷺ الصحابة للخروج إلى بدر لأخذ قافلة أبي سفيان ، قائلاً لهم : « لعل الله أن ينفلكموها »[٢] ، لكن القافلة نجت بما فيها من تجارة ، ولم ينته الأمر هنا بل إن قريشاً قد خرجت بخيلها وخيلائها تريد قتال المسلمين والنيل منهم حتى لا تتعرض قوافلهم التجارية للخطر مرة أخرى من قبل المسلمين .

وهنا أخبر الرسول ﷺ المسلمين بأن القافلة التي خرجوا من أجلها قد نجت ،ولم يبق إلا ملاقاة المشركين الذين اقتربوا من بدر لملاقاة المسلمين والنيل منهم ، وقام ﷺ يشاورهم في ذلك ، وكان يريد أخذ موافقة الأنصار ؛ لأنه ﷺ لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو ، وإنما بايعهم – ليلة العقبة – على أن يمنعوه ممن يقصده ، فلما عرض الخروج لعير أبي سفيان أراد أن يعلم أنهم موافقون على ذلك ،فأجابوه أحسن جواب بالموافقة التامة[٣] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ،لابن كثير ١٩٣/١ .

(٢) السيرة النبوية ،لابن إسحاق (تهذيب ابن هشام ٤٠١/١) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٤/١٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الأنصار كانوا أكثر الناس عددًا ، فقد بلغ عدد المهاجرين نيفًا على ستين ، والأنصار نيفا على أربعين ومائتين[١] ، مما يعني أنه لا بد من أخذ رأي أكثرية الجيش .

ولكن ليست المفارقة هنا بقلة الجيش أو كثرته ، وإنما المفارقة بالرد الحاسم من المهاجرين والأنصار عندما أثلجوا صدر النبي ﷺ بردهم الجميل الذي جاء في كلمات تكتب بماء العيون ، فقد ابتدأ المهاجرون بالرد ، ولم يتقدم عليهم الأنصار لمعرفتهم السابقة بأسبقية المهاجرين وفضلهم عليهم ،فقال الشيخان قولاً جميلاً ثم جلسا ، فقام المقداد بن عمرو فقال تلك المقولة الحسنة التي سر منها النبي ﷺ ، وأعجب بها أيما إعجاب حتى أشرقت لها أسارير وجهه ﷺ ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ولفظه : « شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به : أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره » .

وبما أن النبي ﷺ قد سر بهذه الكلمات المعبرة إلا أنه أحب أن يسمع المزيد ، ولكن هذه المرة من الأنصار ، فكرر المشورة على المسلمين ، فانتبه زعيم الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟!! ، قال : أجل . قال : « فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن

(١) البخاري ، كتاب المغازي ،باب عدة أصحاب بدر ، رقم الحديث (٣٩٥٦) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تلقى بنا عدونا غداً ؛ إنا لصُبُر في الحرب صُدُقٌ في اللقاء ،ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله »[١] .

المبحث الثالث : موقف أنس بن النضر ﷺ يوم أحد :

كان أنس بن النضر ﷺ[٢] عم أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ قد فاتته غزوة بدر ، فلم يشهدها مع النبي ﷺ ، فندم على ذلك وقال : « يارسول الله غبت عن أول[٣] قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني[٤] قتال المشركين ليراني الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد[٥] وانكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ ؛ الجنة ورب النضر[٦] ، إني أجد ريحها من دون أحد[٧] ،

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق (تهذيب ابن هشام ٦١٥/١) .

(٢) هو أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، الأنصاري الخزرجي عم أنس بن مالك ﷺ . انظر : الإصابة ، لابن حجر ٧٤/١ و٧١/١ .

(٣) يقصد غزوة بدر التي كانت في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من الهجرة . انظر : مصنف عبدالرزاق ٣٤٨/٥ ، رقم (٩٧٢٦) وهو مرسل صحيح إلى عروة ، والطبقات الكبرى ،لابن سعد ٢١/٢ ، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١٦٤/١ ، . وقد صح هذا التاريخ عن ابن مسعود أيضاً ، ينظر : مصنف عبد الرزاق ، رقم (٧٦٩٧) ، والطبراني في الكبير ، رقم (٩٥٧٩) .

(٤) أي أحضرني . فتح الباري ،تحت شرح الحديث رقم (٢٨٠٥) .

(٥) كانت غزوة أحد في يوم السبت الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة من الهجرة . انظر : تاريخ خليفة بن خياط ٦٧ ، ودلائل النبوة ، للبيهقي ٢٠١/٣ ، و٢٠٦/٣ ، و٢٧٨/٣ .

(٦) قال الحافظ : كأنه يريد والده ، ويحتمل أنه يريد ابنه فإنه كان له ابن يسمى النضر ، وكان إذ ذاك صغيرًا . الفتح ، تحت شرحه للحديث رقم (٢٨٠٥) .

(٧) قال الحافظ :قال ابن بطال وغيره : يحتمل أن يكون على الحقيقة وأنه وجد ريح الجنة حقيقة أو وجد ريحاً طيبة ذكَّرَه طيبها بطيب الجنة ، ويجوز أن يكون أراد أنه استحضر الجنة التي أعدت للشهيد ، فتصورَ أنها في ذلك الموضع الذي يقاتل فيه ، فيكون المعنى : إني لأعلم الجنة تكتسب في هذا الموضع فأشتاق لها . المصدر السابق . =

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال سعد : فما استطعت يارسول الله ماصنع !![١] . قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ،فما عرفه أحد إلا أخته[٢] ببنانه .

قال أنس : كنا نرى - أونظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه وهي قوله ﷻ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾[٣] .

قال الحافظ : وفيه فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر وما كان عليه من صحة الإيمان ، وكثرة التوقي والتورع وقوة اليقين[٤] .

قلت : صحة العقيدة وقوة الإيمان وقوة اليقين والنية الخالصة لله ، تؤدي بصاحبها بعد توفيق الله تبارك وتعالى إلى الخاتمة الحسنة ، كخاتمة أنس بن النضر ﷺ ، والتذبذب في قوة اليقين ، والنية السيئة تؤدي بصاحبها إلى الخاتمة السيئة ، كحال الرجل الذي قاتل يوم أحد ، أي في نفس

= وقال في موضع آخر : يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة بأن يكون شم رائحة طيبة زائدة عما يعهد ، فعرف أنها ريح الجنة ، ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين حتى كأن الغائب عنه صار محسوساً عنده ، والمعنى أن الموضع الذي أقاتل فيه يؤول بصاحبه إلى الجنة . فتح الباري ، لابن حجر ، تحت شرحه للحديث رقم (٤٠٤٨) .
وقال النووي : محمول على ظاهره ، وأن الله تعالى أوجده ريحها من موضع المعركة ، وقد ثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام . شرح النووي على مسلم ٥٢/٧ ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . رقم الحديث (١٩٠٣) .

(١) قال الحافظ : قال ابن بطال : يريد ما استطعت أن أصف ما صنع أنس من كثرة ما أغنى وأبلى مع المشركين . الفتح ، تحت شرحه للحديث رقم (٤٠٤٨) .

(٢) اسمها : الرُّبَيِّع بنت النضر . المصدر السابق .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب قول الله ﷻ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ رقم الحديث : (٢٨٠٥) . ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، رقم الحديث (١٩٠٣) .

(٤) الفتح ، تحت شرحه للحديث رقم (٢٨٠٥) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المعركة التي استشهد فيها أنس بن النضر ﷺ ، بل وكان قد قتل سبعة أو ثمانية من المشركين ، ومع ذلك أخبر عنه ﷺ أنه من أهل النار ؛ لأنه قتل نفسه في نهاية المعركة ، لأنه في الأصل لم يقاتل إلا من أجل أحسابه[١] .

فانظر إلى الإيمان الصادق والثبات على العقيدة والنية الصادقة كيف تتحكم في الأعمال فتنجي صاحبها من النار بإذن الله ،أو ترديه فيها ، فسبحان مقلب القلوب .

المبحث الرابع : موقف كعب بن مالك ﷺ بعد تخلفه عن غزوة تبوك :

الصبر على البلاء يختلف من شخص لآخر ، والبلاء يختلف أيضاً ، وعزاء الجميع قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها قد فرغ منها ، فمنها ما هو كائن لا محالة ، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه ، فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتزر بإزار له طرفان ، أحدهما الصبر ، والآخر الرضا ؛ ليستوفي كمال الأجر لفعله ذلك ، فكم من شدة قدصعبت وتعذر زوالها على العالم بأسره ، ثم فرج عنها السهل في أقل من لحظة[٢] .

ولقد مرت على كعب بن مالك ﷺ[٣] محنة عظيمة تجلى فيها عمق تعلقه بالله ﷻ ومحبته لرسوله ﷺ .

تلك هي محنة هجر رسول الله ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم له ﷺ قرابة خمسين ليلة ، وذلك بسبب تخلفه عن غزوة تبوك ، وهو الذي

---

(١) السيرة النبوية ، لابن إسحاق ٦٣/٢ ، وسنده مرسل ، لكن يشهد له ما في صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، رقم الحديث (٤٢٠٣) إلا أنه لم يعين الغزوة .

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، لابن حبان ١٥٧ .

(٣) كان معه على ذلك : مرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الواقفي ، رضي الله عنهما ، كما في الصحيح ، وأفردتُ بالذكر هنا كعب بن مالك ﷺ ؛ لكونه أذكر الثلاثة وأشهرهم ، بل الحديث الطويل الذي ذكره البخاري في غزوة تبوك كان بعنوان : حديث كعب بن مالك .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لم يتخلف في غزوة غزاها ﷺ إلا وهو معه غير غزوة بدر ؛ لأن الله ﷻ لم يعاتب أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد[١] .

علماً بأنه كان في كامل استعداده عدة وعتاداً لحضور تلك الغزوة ، ولم يسبق له أن اجتمعت عنده راحلتان إلا في تلك الغزوة[٢] .

وذلك زيادة في الابتلاء والتحسر والندم على ما فات من الخير العظيم ، ولكن أمر الله نفذ ، ولم يحضر تلك الغزوة ، ولما رجع رسول الله ﷺ سأله عن سبب تخلفه ، قال كعب : فقال لي : « ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » فقلت : بلى ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سَخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : « أما هذا فصدق ، فقم حتى يقضي الله فيك »[٣] .

وحديث كعب بن مالك هذا مع النبي ﷺ يوضح البلاغة الفائقة التي كان يتمتع بها في الحجة ، وكان بإمكانه أن يعتذر بعذر يخرجه مما هو فيه من الحرج ، ولكن صدق الإيمان ومحبته لرسول الله ﷺ جعلته يوضح للنبي ﷺ أن ذلك لم يكن إلا تثبيطاً من الشيطان ، وأن كل الظروف كانت مواتية ومهيأة للخروج في هذه الغزوة ، ولكن أمر الله نفذ .

وهنا نلحظ في كل كلمة من كلام كعب رضي الله عنه صدق القول ، لذلك عقب الرسول ﷺ على كلامه بقوله : « أما هذا فقد صدق » .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب :حديث كعب بن مالك ، رقم الحديث (٤٤١٨) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذه الشهادة الرفيعة من النبي ﷺ أثبتت عمق الإيمان الذي كان يتمتع به كعب بن مالك ﷺ كما سيأتي .

استمر هجر النبي ﷺ والصحابة لكعب بن مالك قرابة خمسين ليلة ، لا يكلمونه ولا يجالسونه حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فبينما هو في تلك الحالة يمشي في أحد أسواق المدينة إذا نبطي[١] من أنباط الشام يبحث عنه جاداً حتى إذا دُلَّ عليه دفع إليه كتاباً من ملك غسان[٢] ، فإذا فيه : أما بعد ؛ فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . قال كعب : فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرته بها[٣] .

ثم بعد ذلك جاءه الفرج ونزلت توبته وصاحبيه ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر قول كعب : ... فتيممت بها التنور ... : ودل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله ، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك ، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره ، ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يُكرهه على فراق دينه ، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان ، حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب ، هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة ، ولا سيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال ، ولا سيما والذي استدعاه قريبه ونسيبه ، ومع ذلك فغلب عليه دينه وقوي عنده

---

(١) نبطي : نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه .فتح الباري ، تحت شرحه للحديث رقم (٤٤١٨) .

(٢) اسمه جبلة بن الأيهم ، وقيل : الحارث بن أبي شمِّر . المصدر السابق .

(٣) انظر : صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ، رقم الحديث (٤٤١٨) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يقينه ، ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دُعي إليه من الراحة والنعيم ، حباً في الله ورسوله ، كما قال رسول الله ﷺ : « وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما »[١] .

قلت : كلام الحافظ هنا في غاية الحسن ، حيث استشعر تماماً موقف كعب بن مالك ﷺ ، وعبر عن ذلك بهذه الكلمة العميقة ، ولا عطر بعد عروس ، إلا أنني أرجو أن أكون قد وفقت في اختيار بعض الأمثلة الدالة على بعض المواقف من أصحاب النبي ﷺ ، التي تجلى فيها ثباتهم على العقيدة في أحلك الظروف وأصعبها .

وهذه المواقف من أهم الدروس والعبر التي يجب أن يستفاد منها في كل زمان ومكان ،وأن غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الناس يعد من أهم أولويات الداعية إلى الله ﷻ ، بل الثبات على الحق من ثمرة التمسك بالعقيدة الصحيحة بعد توفيق الله سبحانه .

المبحث الخامس : موقف المهاجرين والأنصار ﷺ من الرِّدَّة :

إن تربية وتعليم الرسول ﷺ لصحابته الكرام ﷺ التي استمرت ثلاثاً وعشرين سنة ، استطاع خلالها - بفضل الله - أن يرسخ العقيدة في نفوسهم ، وحتى الذين تأخر إسلامهم إلى ما بعد الهجرة ، فإنهم كانوا مأمورين بالهجرة ، فاستطاعوا أن يستدركوا ويستوعبوا ما فاتهم ، وأن يلمسوا عظمة الإسلام من خلال اندماجهم في الحياة الإسلامية التي تكونت في مجتمع المدينة ، كما أنهم وجدوا التوجيه الكامل من الرسول ﷺ[٢] .

فلم تنقل المصادر الأولى أي خبر عن ارتداد المهاجرين ولا الأنصار رضي الله عنهم أجمعين ،ولا واحد منهم .

---

(١) فتح الباري ، تحت شرحه للحديث رقم (٤٤١٨) .

(٢) حركة الردة في اليمن وحضرموت وعمان ، في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ، لعبد العزيز نور ولي ١٣١ ، رسالة ماجستير ، من الجامعة الإسلامية بالمدينة ، لم تنشر .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وثبات المهاجرين والأنصار على الإسلام ليس له إلا تفسير واحد وهو قربهم ، وعيشهم ، وملازمتهم للرسول الكريم ﷺ ، واستفادتهم التامة من تربيته ﷺ لهم رضوان الله عليهم أجمعين .

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الذين لازموا رسول الله ﷺ ، وأخذوا عنه كان إيمانهم أقوى وأثبت من أولئك الذين كانوا بعيدين عن بيت النبوة ، لذلك كانت الردة في بعضهم ، ولها أسباب كثيرة ، لعل من أهمها « ضعف الإيمان ؛ لأنهم لم يكونوا من أولئك الصحب الكرام الذين تمكن الإيمان في قلوبهم ، ورسخت العقيدة في نفوسهم ، وإنما نجدهم أناساً حديثي عهد بالإسلام لم ترسخ عقيدته في نفوسهم »[(١)] ، ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن المرتدين كانوا قلة بالنسبة لغيرهم ممن ثبتوا على الإسلام[(٢)] ، لكن المقصود أنه ما من قبيلة إلا وكان منها بعض الأفراد ممن ارتد ، ما عدا المهاجرين والأنصار ﷺ .

ويؤخذ منه أن ملازمة طلاب العلم وغيرهم للعلماء الربانيين ، خاصة عند الشدائد والفتن ، تقيهم وتجنبهم بإذن الله الدخول فيها ؛ لأن العلماء هم أعرف الناس بمدلولات ألفاظ الكتاب والسنة ، لذلك كان موقف الصديق ﷺ – وهو أعرف الصحابة الكرام وأعلمهم بالكتاب والسنة – حازماً في قتال المرتدين ، وذلك كله لما كان يتصف به ﷺ من الإيمان الكامل واليقين التام ، وقد شرح الله صدر الصحابة لما تحيروا في قتال المرتدين لما بين لهم الصديق ﷺ مقاصد الشريعة ،ومثل هذه الفتن ليس لها إلا الرجوع إلى العلماء حتى يبينوا للناس ما لهم وما عليهم .

---

(١) المصدر السابق ،١٩٢ .

(٢) أنظر : الثابتون على الإسلام ،أيام فتنة الردة ، لمهدي رزق الله أحمد ، ٢٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

يمكن للقارئ الكريم أن يدرك أهمية هذا البحث من خلال قراءته لهذه الخاتمة المختصرة ، وسأوردها في نقاط كما يلي :

١- لا بد من الإدراك التام أن الإنسان لم يخلق في هذه الأرض إلا من أجل عبادة الله تبارك وتعالى ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

٢- أن النبي قام بتحقيق هذا الهدف النبيل من أول يوم أمر فيه بالدعوة ، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر : ١-٥] .

٣- أن دعوة الرسول في الفترة المكية كانت جلها في غرس هذه العقيدة المتمثلة في عبادة الله جل وعلا ونبذ كل ما يعبد سواه ، ولم يشتغل بأي أمر آخر سوى الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصلة الأرحام ، مما يدل دلالة واضحة على أن الاهتمام بالجانب العقدي في غاية الأهمية ، بل لا يجوز إغفال هذا الجانب من قبل الدعاة إلى الله ﷻ ؛ لأن هذا هو منهج النبي ﷺ .

٤- أنه يجب على الداعية التركيز على غرس العقيدة في نفوس الأتباع بالتي هي أحسن ، مع عدم إغفال جانب الترغيب والترهيب ، فإذا تمكنت العقيدة ووصلت إلى شغاف قلب المسلم ، تقبَّل كل الأحكام والتشريعات الأخرى ، والدليل على ذلك تلك الأمثلة التي سُقْتُها في ثنايا البحث ، والتي دلت بوضوح على تمسكهم بإيمانهم ، وهي غيض من فيض .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٥- أن الداعية إذا أراد أن يفهم منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله ﷻ فهماً صحيحاً فإن عليه أن يرجع إلى السيرة النبوية الصحيحة ، فهي مليئة بالنماذج الحيَّة لكثير من مواقف الصحابة ، التي دلت بوضوح على أنهم قد استفادوا من منهج النبي ﷺ في دعوته .

أسأل الله جل وعلا أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهرس المصادر

- القرآن الكريم .
- ابن الأثير : المبارك بن محمد الجزري ، أبو السعادات (ت٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر .تحقيق : طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، دون تاريخ للطبع
- ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم (ت١٥١هـ) ، السيرة النبوية : تهذيب ابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، ط : الثانية ،١٣٧٥هـ ، مطبعة الحلبي ، مصر .
- السيرة النبوية ، تهذيب ابن هشام ، تحقيق : سيد بن رجب ،إشراف : مصطفى بن العدوي ،ط : الأولى ، لدار ابن الجوزي ،١٤٢٤هـ .
- الألباني : محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ط : الرابعة ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ .
- صحيح سنن الترمذي : نشر مكتب التربية العلمي لدول الخليج العربي ، ط : الأولى ،١٤٠٨هـ .
- صحيح سنن ابن ماجه : نشر مكتب التربية لدول الخليج العربي ، ط : الأولى ، ١٤٠٨هـ .
- البخاري : محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ) ، الجامع الصحيح ، القاهرة ،مع فتح الباري ، لابن حجر ، ط : السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .
- البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ) ، دلائل النبوة ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، ط :الأولى ، ١٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ) ، سنن الترمذي . تحقيق : أحمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة ، ط : الثانية ،١٣٩٨هـ ،مطبعة البابي الحلبي .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- الحاكم النيسابوري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت٣٥٤هـ) ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، شرح وتحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ومحمد عبد الرزاق حمزة ، ومحمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٧هـ .
- ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، نشردار الكتاب العربي .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ط : السلفية ، ١٣٨٠هـ .
- خليفة بن خياط : شباب العصفري (ت٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط : الثانية ، ١٤٠٢هـ .
- أبو زرعة الدمشقي ، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري (ت٢٨١هـ) ، تاريخ أبي زرعة الدمشقي . تحقيق : شكر الله نعمة الله القوجاني .
- ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت .
- الشيباني : أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، المسند : تحقيق ، أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر .
- المسند : بتحقيق ، شعيب الأرناؤوط ورفاقه ، ط : الأولى ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة الرسالة .
- الصالحي : محمد بن يوسف الشامي (ت٩٤٢هـ) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد .تحقيق : عادل أحمد وعلي محمد معوض ، ط : الأولى ، ١٤١٤هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الطبراني : أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ) ، المعجم الكبير : تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط : الثانية ، الجمهورية العراقية ، وزارة الشؤون الدينية ، إحياء التراث .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت .
- الصنعاني : عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ) ، المصنف : تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .ط : الثانية ، ١٤٠٣هـ .
- ابن القيم : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، (ت٧٥١هـ) .
- الصواعق المرسلة (الصواعق المنزلة) ، تحقيق : أحمد عطية الغامدي ، وعلي ناصر الفقيهي ، ط : المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة .
- ابن كثير : إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، ١٣٨٨هـ ، بيروت .
- مسلم بن الحجاج : أبو الحسين القشيري (ت٢٦١هـ) ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط : الأولى ، ١٣٤٧هـ .
- مهدي رزق الله أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ط : الأولى ١٤١٢هـ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .
- الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ ودورهم في إخمادها ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط : الأولى ، ١٤٢٠هـ .
- نور ولي : عبد العزيز محمد ، حركة الردة في اليمن وحضرموت وعمان ، في عهد أبي بكر الصديق ، رسالة ماجستير من قسم التاريخ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة . لم تنشر .
- النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت٦٧٦هـ) ، شرح النووي على مسلم .
- الواقدي : محمد بن عمر بن واقد الأسلمي (ت٢٠٧هـ) ، مغازي الواقدي . تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب ، ط : الثالثة ، ١٤٠٤هـ .

❊ ❊ ❊

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة